مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــ المجلد: 12 / العـدد:02 (نوفمبر2024) ص 628– 640
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

مكانة القيم الإنسانية في فلسفة سيد قطب الحضارية

The status of human values in Sayyed Qutb civilizational philosophy

الدكتور: رياض طاهير
Dr: TAHIR Riad
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، tahir.riad@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام: 2024/03/06	تاريخ القبول: 2024/09/13	تاريخ النشر: 2024/11/28

الملخص : من خلال هذه الورقة البحثية سنعرج للبحث عن المكانة الأساسية للإنسان في فلسفة سيد قطب الحضارية، باعتبار أن الإنسان هو جوهر الحضارة أو فوق الحضارة في حد ذاتها، فلا يمكن بحال من الأحوال أن ننسى أو نتناسى عن الهيمنة الأوربية –المادية– التي حاولت بكل الوسائل تقويض الإنسان المسلم وطمس معالم هويته، فأساس الحضارة الغربية مبني على القوة المادية أو الاقتصادية، ولهذا عمد سيد قطب في مختلف مؤلفاته، إلى محاولة التأسيس لفلسفة حضارية جديدة قوامها القوة الروحية القيمية في مقابل القوة المادية، وأراد سيد قطب بذلك أن يعيد المكانة الأساسية للإنسان المسلم، والناتج عن منظومة متوازنة روحيًا، وبعيدًا كل البعد عن التيارات الإيديولوجية الغربية الجارفة، ولهذا أراد سيد قطب من خلال هذا الطرح الجديد أن يبني صرحًا حضاريًا إنسانيًا يكون بمثابة الحصن المنيع أمام التيارات الإيديولوجية المتطرفة. ولعل الإشكالية المحورية لهذه الورقة البحثية تتمحور فيما يلي: كيف يمكن التأسيس لحضارة إنسانية إسلامية قيمية أصيلة حسب سيد قطب؟ وبصيغة أخرى: كيف أسس سيد قطب للحضارة من منطلق القيم الروحية؟

كلمات مفتاحية: حضارة، قيم، أخلاق، إيديولوجيا، إنسان، أخلاق، إسلام.

Abstract:

In this research paper, we discuss the basic place of man in Sayyed Qutb civilizational philosophy, considering that man is the essence of civilization or above civilization in itself. In no way can we forget or forget about the European - materialistic - hegemony that tried by all means to undermine the Muslim human being and erase it ,The features of his identity. The foundation of Western civilization is built on material or economic power, This is why Sayyed Qutb in his various works, attempted to establish a new civilizational philosophy based on value-based spiritual power. In exchange for physical force In doing so, Sayyed Qutb wanted to restore the fundamental status of the Muslim person, resulting from a spiritually balanced system, far removed from sweeping Western ideological currents. That is why Sayyed Qutb wanted, through this new proposal, to build a human civilizational edifice that would serve as an impenetrable fortress against extremist ideological currents. Perhaps the central problem of this research paper revolves around the following: How can an authentic Islamic human civilization of values be established, according to Sayyed Qutb? In other words: How did Sayyed Qutb establish civilization from the standpoint of spiritual values?

Keywords : Civilization, values, morals, ideology, human, ethics, Islam.

المؤلف المرسل: د.رياض طاهير، **الإيميل:** tahirriad64@gmail.com

1.مقدمة:

مما لا شك فيه؛ أن ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من تمزق ومآسي إنسانية بمختلف أنواعها، وانتشار الآفات الاجتماعية المختلفة، والتي أصبحت اليوم تنخر بجسد وروح الأمة الإسلامية، وتزداد سوءًا يومًا بعد يوم، ناتجة بفعل العولمة وما أفرزته من تطورات على الصعيدين المحلي والدولي، بحيث أصبح الإنسان اليوم يستطيع أن يتعرف ويحتك بحضارة وثقافة غيره بنقرة واحدة باستخدام الانترنت ومختلف المواقع التي تتيح للإنسان المسلم الانصهار في ثقافة وعادات مجتمعات أخرى لا تمت بصلة بقيم المجتمعات الإسلامية. ولعل أن هذا التفتح الكوني إن صح القول، قد فتح الشهية للإيديولوجيات الغربية باختلاف انتماءاتها وتوجهاتها قصد الاستثمار في محاولة طمس معالم الآخر –الإنسان المسلم– من منطلق إدعائه بمركزيته وأهميته في الحضارة الإنسانية من جهة، ومن جهة أخرى التقليل والتشكيك بمبادئ ومقومات الإنسان المسلم.

كل هذا ساهم بشكل كبير في جرف شباب الأمة العربية الإسلامية، مع تيار الحضارة الغربية التي تدعي الإنسانية والحرية وتحقيق الأحلام، ومن ثمة إثارة الشك والريبة في مختلف مبادئه ومقوماته الدينية والحضارية المختلفة، ولقد نجح الغرب قي هذا النهج إلى حد بعيد، ويظهر لنا هذا من خلال اعتبار شبابنا اليوم أن الغرب هو الوجهة الأولى التي يمكن للإنسان أن يحقق آماله وطموحاته، وما التشبث بأصالته ودينه وعرقه، إلا وسيلة للانحطاط والخضوع والركود.

ولهذا كان طموح سيد قطب في فلسفته الحضارية هذه، هو إنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذه الهمجية الغربية التي تحاول أن تجعل الإنسان في تبعية دائمة للحضارة الغربية، وذلك من منطلق إعادة الاعتبار للقيم الإنسانية الأصيلة المبنية على القرآن والسنة، وتفادي الانجراف تحت ولاء الحضارة الغربية والإنسانية الزائفة والزائلة التي تهدد وجوده وكيانه وإيديولوجيته، ولهذا فالإشكالية المحورية لهذه الورقة البحثية تتمحور حول ما يلي:
كيف يمكن أن نوقف التدميرية الغربية للحضارة الإسلامية؟ هل يمكن أن نؤسس لحارة إنسانية من منطلق العودة إلى القيم الروحية الأصيلة؟ كيف يمكن أن نعيد المكانة الأساسية للإنسان في عجلة الحضارة والكون حسب سيد قطب؟

ونسعى من خلال هذه الدراسة إلى تبيان الأهمية التي يكتسيها موضوع القيم الإنسانية الأصيلة ودورها في بناء الحضارة عبر مراحلها التاريخية المختلفة، وما أحوجنا اليوم، إلى فلسفة حضارية جديدة تأصل لمنظومة قيمية جديدة تُنمي الجانب القيمي في الإنسان المسلم، وتحارب بشتى الطرق كل الخطابات الإيديولوجية المتطرفة التي تحمل قيمًا إنسانية زائفة، الغاية منها جعل الإنسان المسلم في تبعية للغرب لا غير، ولهذا فأهمية هذا الموضوع

تكمن في إعادة إرساء و إعادة الاعتبار للمنظومة القيمية الإسلامية ودورها الفعال في استمرارية هذه الحضارة، في ظل تنامي التيار المعادي للإسلام والأمة الإسلامية جمعاء.

ولتحليل الإشكالية السابقة قمنا بتقسيم ورقتنا البحثية هذه إلى العناصر التالية:

1- المرجعية الدينية للحضارة الإسلامية عند سيد قطب

2- المجتمع الإسلامي والحضارة الغربية

3- الأبعاد القيمية لفلسفة الحضارة عند سيد قطب

وخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الورقة البحثية.

1- المرجعية الدينية للحضارة الإسلامية عند سيد قطب

كان ولا يزال موضوع الحضارة من بين أهم القضايا الأساسية التي خاض فيها الفلاسفة والعلماء سجالا ونقاشا واسعا في تحديد مفهومها وغاياتها، يرجع سبب ذلك إلى ارتباط هذا المفهوم وتداخله مع الإنسان وما يمثله من نسيج اجتماعي في علاقاته المختلفة، واختلاف طبيعة المجتمعات البشرية من مجتمع لآخر، ك هذا زاد من حدة وصعوبة إعطاء مفهوم جامع ومانع للحضارة.

يرى ابن منظور في كتابه "لسان العرب" على أن الحضارة مأخوذة من اسم حضارة وجمعها حضارات، ومصدرها حضر، والتي تعني الإقامة في الحضر،، والحضارة في معناها هي حياة المدينة وهي على نقيض الحياة البدوية أو حياة الريف التي تعتبر مرحلة سابقة عن مرحلة الحضارة، ومن جملة معاني ودلالات الحضارة أنها تعني حياة التحضر والتمدن، وهي على العكس من حياة البداوة التي تتسم بالتخلف والتشدد (منظور إ.، 2003، صفحة 907).

يظهر لنا من خلال هذا التعريف الاشتقاقي واللغوي للحضارة على أنها تدل على الحياة المدنية المعروفة بالتحضر والثقافة والتطور، وهي على العكس من حياة البادية أو الريف التي تعتبر بمثابة مرحلة سابقة على حياة المدينة والحضارة، ولذلك فالحضارة هي بمثابة أرقى المراحل التي وصل إليها الإنسان في نسيجه الاجتماعي والعمراني.

كما يتفق الفلاسفة والعلماء أيضاً، على أن الحضارة مأخوذة من الأصل اليوناني " civites " والتي تعني المدينة أو سكان المدينة "civis "، لكنها تفيد الثقافة Cultureوالتي تفيد الحرث والإنماء، واستمر مفهوم الحضارة على نفس المعنى والدلالة إللى غاية القرن التاسع عشر 19م، والتي أخذت أبعادًا أخرى مغايرة لما

كانت عليه من قبل، بحيث أصبحت الحضارة تعني مختلف المكتسبات العقلية والذوقية والجمالية، وبالتالي فهي مرادفة لمصطلح الثقافة (قسطنطين، 1981، صفحة ص ص 32.33).

ومعنى كل هذا أن الحضارة في أصلها مشتقة من المصطلح اليوناني والذي يعني المدينة أو الدولة، فهي كذلك لا تخرج عن إطار العلاقات الاجتماعية التي تعبر عن ثقافة معينة وعن عادات وتقاليد تساهم في الرقي بالنوع الإنساني، وهي مرحلة تسود فيها القوانين والتزاوج بين مختلف الثقافات، في حين فهي مقابل للحياة البربرية المتوحشة على حسب تعبير أفلاطون. ولهذا فالحضارة مرحلة انتقالية انتقل فيها الإنسان من الحياة البسيطة بساطة الإنسان الريفي، إلى حياة الحضارة والمدينة والتي تسودها روح القوانين.

كما أن الحضارة في معناها الاصطلاحي تعني أسمى وأرقى الحالات التي يمكن للمجتمعات البشرية أن تصل إليها، بحيث تكون مواكبة لمختلف التطورات العلمية الحاصلة، والفنون المختلفة، ومسايرة لمختلف القيم الأخلاقية السامية والتي تخدم الإنسان في مختلف أبعاده: الاجتماعية منها والسياسية والدينية (حسين، 2011، صفحة 11).

كما أن الحضارة أيضًا تعني أنها ثمرة جهد إنساني عمل على تجاوز كل مآسي الحياة ومحاولة التقليل من حدة الاضطرابات التي يواجهها في حياته اليومية، سواء كان ذلك الفعل قصديًا إراديًا أو غير قصدي عفوي (مؤنس، 1978، صفحة 13).

وتجدر الإشارة إلى أن الحضارة عند سيد قطب تعني كل "إبداع مادي إنساني في الأرض، أو هي كل نمو في هذه الحياة ورقيها، هو في الوقت نفسه وظيفة أساسية له، يحقق فيها وجوده ويدرب فيها استعداداته الكامنة التي أودعها الله فيه" (قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، 1988، صفحة 109). والظاهر من خلال هذا التعريف الذي قدمه سيد قطب للحضارة، أنها تعني كل ما أضفاه الإنسان في حياته ومحاولة تطويرها، وجعل ذاته في خدمة الآخر. وهنا يبرز لنا المنعطف الذي أحدثه سيد قطب في تحديده للحضارة الإسلامية، فهي لصيقة بوظيفة إنسانية غايتها خدمة الإنسانية، وأن لا يكون دورها مقتصرًا فقط على تحقيق التطور المادي، وفي هذه النقطة بالذات يظهر لنا الاختلاف الكامن بين الحضارة الغربية القائمة على التطور المادي، والحضارة العربية الإسلامية القائمة على التطور الروحي أو الديني.

من هذه النقطة، يمكن القول بأن الحضارة الإسلامية لها مرجعيتها الروحية الخاصة، وهي تختلف أشد الاختلاف عن الحضارة الغربية القائمة على تعرية الجانب الروحي وتنمية الجانب المادي، ويقول سيد قطب في هذا المقام: "فالإنسان غريب في العالم الذي ابتدعه، حتى أنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه، لأنه لا يمكنه

معرفة عملية بطبيعته، ومن ثمة فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية، ..، إننا قوم تعساء لأننا ننحط أخلاقيًا وعقليًا، فالجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم، هي على وجه الدقة الحضارات والأمم الآخذة في الضعف والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها" (قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، 1988، صفحة 113).

يظهر لنا من خلال هذه المقارنة بين الحضارتين الغربية المادية والإسلامية الروحية، على أن اهتمام الغرب بتطوير أساليب الحياة المادية وما تلاها من رفاه مادي، وإغفالها للجانب الروحي للإنسان، يُنذر بنهاية هذه الحضارة وعودتها إلى أصلها الأول البربري المتوحش، فالإنسان الغربي اليوم أصبح هيكلا ماديًا يعاني من فراغ روحي وخيم، ويتوجب على الإنسان المسلم أن لا ينساق – حسب سيد قطب– وراء تلك الشعارات الزائفة والمتطرفة التي تقوض إنيته وأصالته الروحية، وجعله في تبعية مستمرة للآخر.

ويقول سيد قطب في موضع آخر: "إن المادية البربرية التي تتسم بها حضارتنا، لا تقاوم السمو العقلي فحسب، بل إنها تسحق أيضا الشخص العاطفي، واللطيف والضعيف والوحيد وأولئك الذين يحبون الجمال ويبحثون عن أشياء أخرى غير المال" (قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، 1988، صفحة 114). من خلال هذا النص، يتجلى لنا أن الإنسان اليوم انساق وراء تحقيق الرفاه المادي، وأصبح هيكلا بلا روح، وهذا ناتج عن تغول الحضارة الغربية على حساب الحضارة الإسلامية، ولهذا يتوجب علينا العودة إلى أصالتنا الأولى المبنية على تعاليم الدين الإسلامي، حتى نضمن التوازن في الإنسان المسلم بين الجانبين الروحي والمادي. ولهذا نجد سيد قطب في فلسفته الحضارية دائمًا ما يدعو إلى ضرورة العودة إلى الدين وما يمثله من مرجعية قيمية للإنسان المسلم، ويقول في هذا الصدد: " ...تلك هي وظيفة العقيدة الدينية، وذلك هو أثرها في الحياة والنفس، وذلك سر قوة العقيدة في النفس، وسر قوة النفس بالعقيدة، سر تلك الخوارق التي صنعتها العقيدة في الأرض وما تزال كل يوم تصنعها " (قطب، السلام العالمي والإسلام، 2006، صفحة 08).

ويقر سيد قطب على أن الإسلام وما يمثله من مرجعية دينية للإنسان المسلم، هو بمثابة رسالة دينية وحضارية في الآن نفسه، بحيث أن الإنسان المسلم في حياته يعمل على تلبية الرسالة الإلهية في الكون من جهة، ومن جهة أخرى فهي عقيدة ترسخ لمختلف القيم الإنسانية المبنية على التعاون والتآزر والتناغم مع مختلف أطياف المجتمع، ولهذا فلا مناص ولا خلاص للإنسان المسلم اليوم، إلا من خلال العودة إلى فطرته الأولى، وإلى الدين الإسلامي، الذي يعتبر منظومة متكاملة الأطراف، ويقول في هذا المقام: "إن الإسلام وهو

يتولى تنظيم الحياة الإنسانية جميعًا، لم يعالج نواحيها المختلفة جزافًا ولم يتناولها أجزا وتفاريق، ذلك أن تصوره كليًا متكاملا عن الألوهية والكون والحياة والإنسان، يرد إليه كل الفروع والتفصيلات" (قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، 1995، صفحة 20).

وما يمكن قوله هنا، أن الدين وما يمثله من أوامر ونواهي تقوم السلوك الإنساني على الصعيدين الفردي والجماعي، غلا انه يبقى بمثابة الرابطة القوية التي تجمع بين مختلف أطياف وطبقات المجتمع، وهو بمثابة الروح بالنسبة للإنسان، والعكس صحيح، فالإنسان أو المجتمع الذي يعاني من الفراغ الروحي ينذر لا محالة بالانحلال ومن ثمة زوال الحضارة وهدم مختلف قيمها ومبادئها، وعلى هذا الأساس سعت الإيديولوجيات الغربية إلى محاولة طمس معالم الدين الإسلامي، ومحاولة جعل الآخر –المسلم– في تبعية مستمرة لها.

كما أن الدين الإسلامي هو بمثابة عمود وروح الحضارة، واعتباره المرجعية الأساسية لكل تطور حضاري، في حين أن الحضارة الغربية وما نتج عنها من زخم وإرث مادي، كانت ولا تزال تعتبر أن الدين مسألة فرعية مثلها مثل الثقافة ومختلف العادات والتقاليد والعرف الاجتماعية، كل هذا يُساهم في تكوين الحضارة الغربية، وتزول هذه القيم بزوال الحضارة والمجتمع، وأكثر من كل هذا أن الحضارة الإسلامية لا تزول ولا تفنى، وإنما تمر بمراحل من الضعف والهوان، ولكن تعود وتحيى من جديد وبالتالي فزوال الحضارة أمر غير حتمي، في حين أن الغرب يرى أن زوال الحضارة أمر ضروري، وهو ما تنبأ به الفيلسوف "شبنغلر" الذي يرى أن "الحضارة الغربية ستزول وتتدهور بسبب ما آلت إليه من تقديس للجان المادي أكثر من أي شيء آخر وأهملت الدور المعنوي والأخلاقي والاجتماعي" (عامر، 2023، صفحة 613). و من خلال هذا يتضح لنا أن أي حضارة تبني صرحها على الجانب المادي فهي آيلة للزوال، ومن ثمة يتوجب علينا كحضارة إسلامية أصيلة، من العودة إلى قيمنا الإسلامية النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية، فحتى وإن سقطت هذه الحضارة إلا أن معالمها تبقى راسخة في أذهان وعقول الأجيال الصاعدة.

ولعل أن سيد قطب من خلال مشروعه الحضاري، أراد أن يعيد القيمة الحقيقية المسلوبة للإنسان المسلم، ومحاولة إخراج الأمة الإسلامية من ركودها وجمودها الحضاري الناتج عن مختلف الحملات الإيديولوجية والاستعمارية التي جعلت من الأمة الإسلامية في تبعية مستمرة للحضارة الغربية الأوربية الزائفة.

ولقد كانت أفكار سيد قطب تشبه إلى حد بعيد أفكار مالك بن نبي، الذي حاول هو أيضاً أن يصوغ مشروعًا حضاريًا يتماشى ومقتضيات المجتمع الإسلامي، والذي يتباهى بمرجعيته الدينية القائمة على القرآن والسنة،ولذلك يمكن القول أن كل منهما حاولا إعادة مجد الحضارة الإسلامية المسلوب، والخروج من مستنقع

التخلف، وكل هذا لا يتأتى بإتباع الحضارة الغربية، بل بالعودة إلى أصولنا الأولى أو إلى فطرة الإنسان، وكذا التأسيس لمجتمع إسلامي، يستقي قيمه ومبادئه من القرآن والسنة.

2- المجتمع الإسلامي والحضارة الغربية

إن التأسيس للحضارة الإسلامية ا يتأتى إلا من خلال العودة إلى تعاليم ديننا الإسلامي، ونبذ كل الأفكار المتطرفة الناتجة عن المجتمعات الغربية المادية القائمة على تقديس الجانب المادي وإغفال الجانب الروحي، كل هذا يُعجل بطريقة أو بأخرى بسقوط الحضارة، ولعل أن الحضارة الغربية وما خلفته من دمار للبشرية من خلال حملاتها الاستعمارية، وما خلفته من هدم لمختلف القيم الإنسانية التي كانت سائدة، ولهذا فمشروع الغرب كان ولا يزال يريد زعزعة المقوم الأساسي للأمة الإسلامية، وجعلها في تبعية مستمرة لها، من خلال الحملات الإعلامية ومختلف مواقع التواصل، والتي تروم دائمًا إلى محاولة التشكيك في مقومات ومبادئ الإنسان المسلم، الذي كان ولا يزال على حافة الانهيار والزوال.

ولعل أن الحضارة الغربية اليوم وما تمثله من إيديولوجيات مختلفة، تعمل على محاولة خرق ومسخ معالم الأمة الإسلامية، والقضاء على صحوة إسلامية محتملة، وذلك من منطلق محاربة الإرهاب والتعصب ومختلف أشكال التطرف، كل هذا مجرد شعارات رنانة وزائفة، تتستر من خلالها الحضارة الغربية على مشروعها التدميري، الذي يسعى وراء كل هذا إلى ضرب معالم المجمع الإسلامي وما يمثله من منظومة قيمية متكاملة الأطراف، كالأخلاق والدين والعادات والتقاليد الراسخة في الأجيال الصاعدة، وكأن آباء الحضارة الغربية يريدون سلخ الأجيال الصاعدة عن مبادئهم الإسلامية ومحاولة التشكيك في هويتهم وانتمائهم، ومن ثمة الثورة على كل ما هو رجعي ديني، ومن ثمة جعلهم في تبعية مستمرة لهوية وعادات غريبة عن المجتمع الإسلامي.

فالدين حسب سيد قطب هو رسالة دينية ودنيوية، فهو لم يكن كالدين المسيحي، الذي حاول فيه الأوربيون زيادة الشرخ القائم بين الدين والدنيا وضرورة الفصل بينهما، بل أكثر من ذلك أن الدين الإسلامي جاء في بيئة خصبة لا يمكن فصله عن حياة البشر، ويقول سيد قطب في هذا المقام:" فميدان عمل الدين هو الحياة البشرية كلها، روحيًا وماديًا، دينيًا ودنيويًا، وقد نشأ في أنسب بيئة ليزاول طبيعته كاملة ويبلور حقيقته في صورة واقعية منذ اللحظة الأولى،... ، ولن يستقيم هذا الدين في عزلة عن المجتمع، ولن يكون أهله مسلمون، وهم لا يحكمونه في نظامهم الاجتماعي والقانوني والمالي " (قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، 1995، صفحة 11.12).

فالإسلام باعتباره رسالة سماوية، فهو أيضا يحمل قيمًا اجتماعية ومجتمعية، وهي لصيقة بالإنسان المسلم، بحيث لا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه وغايته إلا تحت ولاء وستار الدين الإسلامي، ومن ثمة يمكن القول أن الدين الإسلامي هو منظومة قيمية متكاملة الأطراف، يجمع بين الجانبين الروحي والمادي على عكس الديانات السماوية الأخرى، التي حاولت في بداياتها زيادة الفجوة بينها وبين الحياة الواقعية للإنسان، ولهذا فالمجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي تتحقق فيه صحوة الإنسان المسلم، ويتجاوز بذلك انهياره القيمي وتجاوز فراغه الروحي.

ويقول سيد قطب في هذا المقام: "الإسلام لا يعرف إلا نوعين من المجتمعات: مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي، المجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام، عقيدة وعبادة وشرعًا ونظامًا، وخلقًا وسلوكًا، والمجتمع الجاهلي هو المجتمع الذي لا يطبق فيه الإسلام، ولا تحكمه عقيدته ولا تصوراته، وقيمه وموازينه، ونظامه وشرائعه، وسلوكه وخلقه" (قطب، معالم في الطريق، 1986، صفحة 105)".

ويتضح لنا من خلال هذا النص، على أن العلاقة القائمة بين المجتمع والدين هي علاقة تكاملية، بحيث لا يمكننا تصور مجتمع بلا دين أو دين بلا مجتمع، فالعلاقة بينهما وظيفية إلى أبعد الحدود، وذلك من منطلق أن الدين يسعى لتحقيق التوازن الروحي والمادي للمجتمع المسلم، ويسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ومختلف القيم الإنسانية المتعالية، فمهما حاولت الإيديولوجيات الغربية إلى محاولة جعل الدين يهتم فقط بالشعائر الدينية دون سواها، إلا أن حقيقة الدين الإسلامي يحمل في طياته قيمًا اجتماعية وواقعية لا يمكن فصلها عن حياة الإنسان المسلم، ويقول سيد قطب في هذا الشأن على أنه " هذا هو قوام الدين الإسلامي، في العمل والاعتقاد، ولا عزلة بين الدين والدنيا، ولا بين العقيدة والاجتماع " (قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، 1995، صفحة 14).

ويتجلى لنا من خلال النص السابق، على أن الدين الإسلامي يواكب ويعايش مختلف الأحداث الإنسانية، ويساهم في تبسيط وحل مختلف المشكلات التي تواجه الإنسان في دينه ودنياه، على العكس من الدين المسيحي، الذي كان ولا يزال إلى اليوم الصراع قائم بين السلطتين الزمنية والروحية، وكيفية الحد من الصراع بينهما، كل هذا لا نجد له أثر في الدين الإسلامي، بل أكثر من ذلك فهو دين يدعو إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بإتباع المنهج الإسلامي والشريعة الإسلامية.

ولقد قدم سيد قطب انتقادًا لاذعًا للمجتمع الماركسي المادي، الذي حاول أن يجعل من مختلف العلاقات الاجتماعية قائمة على الجانب المادي، وجعلت من الإنسان في حد ذاته خارج عن إطار الحضارة في حد

ذاتها، وأكثر من ذلك "فهم يقيمون فلسفتهم ابتداء على الأساس المادي الذي ينكر أن يكون لهذا الكون إلهاً، ومن ثمة فهم يسخرون أشد السخرية ممن يعتقدون بوجود الله (قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، 1988، صفحة 96).

ويهدف الدين الإسلامي إلى تحقيق التوازن الاجتماعي، وذلك من منطلق أنه القاعدة الأساسية تحقيق العدالة الاجتماعية، والتي تؤدي في النهاية إلى تحقيق السلم والأمن الاجتماعيين، ويقول في هذا المقام: "وعلى أي فهي خطوة واحدة من خطوات الإسلام في طريقه لتحقيق عدالة اجتماعية شاملة، تحقق سلامًا اجتماعياً شاملاً،...، وبالتالي فالتوازن الاجتماعي هو الأساس الذي يقيم الإسلام عليه بناء العدالة الاجتماعية" (قطب، السلام العالمي والإسلام، 2006، صفحة 129).

فمختلف المجتمعات اليوم باختلاف أيديولوجياتها وانتمائها، دائمًا ما تسعى إلى تحقيق هذه الغاية القصوى للإنسانية جمعاء، وهي محاولة تحقيق التوازن الاجتماعي ومن ثمة تحقيق السلم والأمن بالنسبة للمجتمع أو الدولة ككيان، كما ان الدين الإسلامي يحمل في طياته قيمًا إنسانية متعالية، تزيد من قوة العلاقات الاجتماعية وتساعد في تحقيق أهداف وغايات الإنسان المسلم في دينه ودنياه، فما هي أهم القيم الإنسانية التي يحملها المشروع الحضاري عند سيد قطب؟

3- فلسفة القيم الحضارية عند سيد قطب

لعل أن الأساس الذي أقام عليه سيد قطب فلسفته الحضارية، يعود إلى محاولة إعادة هيبة الإنسان المسلم المسلوبة من طرف الحضارة الغربية المتطرفة، وهو بمثابة المطلب الشرعي لكل المجتمعات المسلمة، من خلال إعادة بعث مقومات وأسس هذه الحضارة الأصيلة، وما تزخر به من قيم إنسانية متعالية، تكون بمثابة الحصن الواقي لها من مختلف التيارات الغربية المتطرفة التي تحاول أن تجعل من الأمة الإسلامية أمة متخلفة وفي تبعية مستمرة للحضارة الغربية الغاشمة. فعلى الرغم من إدعاء الغرب بالشعارات الرنانة والمزيفة، والتي كانت في غالبها تدعو إلى الحرية والعدل والمساواة والتسامح والتضامن، إلا أنها كانت خطابات رنانة، تسعى من خلالها إلى تغليط الرأي العام باسم الإنسانية والحرية والعدل، ومن ثمة خدمة مصالحها الخاصة على حساب مصالح الآخر، وما تعيشه أمتنا الإسلامية اليوم من حروب مفتعلة وغير إنسانية إلا دليل على همجية ووحشية الحضارة الغربية التي تدعي الإنسانية والعدالة، وواقع الإنسان المسلم اليوم مليء بهذه الوقائع اللاإنسانية.

وهنا تسقط أقنعة الحضارة الغربية وأظهرت حقيقتها الأصيلة والمتجذرة فيها منذ التاريخ القديم إلى يومنا هذا، إضافة إلى كل هذا، ظهرت حملات شرسة ضد الدين الإسلامي، والأمة الإسلامية جمعاء، من منطلق أن

كل ما يمت بالدين فهو تعصب وتطرف وإرهاب، ويجب القضاء عليه، وذلك من أجل جعل الإنسان المسلم كارهًا لأصوله وهويته ومبادئه وقيمه الإسلامية، وأكثر من هذا عملت على تشويه صورة الإسلام أمام العالم باعتبار أن الأمة الإسلامية لا تمت بصلة بالقيم الإنسانية النبيلة.

ولكن على الرغم من هذه الحملات الشرسة التي شنتها الحضارة الغربية المادية، ومحاولة التقليل من قيمة المنظومة القيمية الإسلامية، إلا أن الدين الإسلامي كان ولا يزال يحمل في ثناياه رسائل إنسانية تهدف إلى بناء إنسان متوازن بين الجانبين الروحي المعنوي والواقعي المادي، فلا يخفى علينا أن الدين الإسلامي أيضا يبقى دين يلح من خلال تعاليمه وقيمه إلى تشجيع التضامن والأخوة والتسامح ونبذ كل أشكال الإرهاب والتطرف والتعصب. ويقول سيد قطب في هذا الشأن: "الإسلام منهج، منهج حياة، حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها، منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكانة الإنسان، ويحدد غاية الوجود الإنساني، ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية متمثلة في حياة البشر كالنظام الأخلاقي والينبوع الذي ينبثق منه" (قطب، المستقبل لهذا الدين، 1988، صفحة 05).

إضافة إلى ما سبق يمكن القول أن الحضارة الإسلامية وما تحمله من معاني الإنسانية، قائمة في أساسها على العامل الديني، الذي يعتبره سيد قطب بمثابة رابطة روحية بين كل أطياف المجتمع، وتزل فيها مختلف الفروقات الفردية وكل أنواع التعصب والتشدد، يقول في هذا المقام: "المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي تمثل فيه العقيدة رابطة التجمع الأساسية وتعتبر فيه العقيدة الجنسية التي تجمع بين الأسود والأبيض، والأحمر والأصفر، والعربي والرومي، وسائر أجناس الأرض في أمة واحدة" (قطب، المستقبل لهذا الدين، 1988، صفحة 109).

ما يمكن قوله هنا، أن الحضارة الإسلامية في أوج معانيها وقيمها هي حضرة إنسانية، باختلاف اللسان واللون والعرق، فهي بمثابة رسالة إنسانية تهدف إلى خدمة الإنسان وتنظيم شؤونه وتهذيب سلوكه، وجعله في استمرارية مع بني جنسه، كل هذا بمثابة تحقيق لقيمتي الأمن والسلم الاجتماعيين اللذان تصبوا إليهما مختلف الأجناس باختلاف حضاراتهم. ولهذا فالأساس الذي تقوم عليه الحضارة الإسلامية هو أساس قيمي، أخلاقي، اجتماعي، اقتصادي، أو إن صح القول أن الحضارة الإسلامية هي بمثابة منظومة قيمية متكاملة الأطراف، فهي تبدأ من الإنسان وتنتهي إليه، "فحينما تكون إنسانية الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع، وتكون فيه الخصائص الإنسانية موضع التكريم، يكون هذا المجتمع متحضرًا، في حين من يعتبر المادة القيم العليا سواء في صورته

النظرية أو الإنتاج المادي كما في أمريكا وأوربا وسائر المجتمعات التي تعتبر الإنتاج المادي قيمة عليا تهدر في سبيلها القيم والخصائص الإنسانية" (قطب، المستقبل لهذا الدين، 1988، صفحة 110).

فالدين الإسلامي باعتباره المرجعية الأساسية للحضارة الإسلامية، يمكن القول بأن الدين الإسلامي يدعو في طياته إلى نشر المحبة والأخوة والتضامن والتكافل، وهي قيم إنسانية تنفرد بها الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية المادية، بحيث أصبحنا اليوم نشاهد كل أشكال التطرف والعنف والتعصب في مختلف المحافل الدولية التي كان تتغنى بالحرية والعدل والمساواة ونبذ كل أشكال العنف والتمييز العنصري، فلا شك أن ما تعيشه الحضارة الغربية اليوم من انفصام وتناقض، هو بمثابة دليل قاطع على قرب نهاية هذه الحضارة الزائفة والزائلة والتي تؤمن بأولوية المادة على الروح.

يقول سيد قطب في هذا المقام: "إن في روح الإسلام من السماحة الإنسانية ما لا يملك منصف أن ينكره أو يراوغ فيه، وهي سماحة مبذولة للجماعة البشرية كلها لا لجنس فيها ولا لأتباع عقيدة معينة، إنما هي للإنسانية بوصفها إنسانًا، ...، وهي روح تمكن له من إقرار السلام في الأرض، ومن تأليف الأجناس والألوان، ومن إشاعة السماحة والود بين البشر، ومن تنقية جو الحياة من سموم التحاسد الفردي، والتطاحن الطبقي والتناحر العنصري" (قطب، السلام العالمي والإسلام، 2006، صفحة 159).

من خلال هذا النص الذي قدمه سيد قطب عن أهم القيم التي تنفرد بها الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية، فقد بيّن لنا في هذا النص الجامع والمانع أهم صفات وخصائص الحضارة الإسلامية، وما تطمح إلى تحقيقه على المستوى الفردي أو الجمعي، أو على المستوى المحلي أو الكوني، وبالفعل فالرسالة الحضارية لا تكمن في البحث والسعي في سبيل تحقيق العظمة الزائفة – كما هو الشأن في الحضارة الغربية– وإنما في الأصل أن الحضارة تأصل لمختلف القيم الإنسانية النبيلة، والتي تزيد من قيمة إنسانية الإنسان، وهو بمثابة غاية الغايات لأي حضارة إنسانية مهما كانت.

وما يمكن قوله هنا، أن الحضارة الإسلامية هي بمثابة منظومة قيمية متكاملة، تسعى من خلال مرجعيتها الدينية إلى محاولة الوصول إلى مجتمع فاضل وبعيد كل البعد عن التصورات المضنية التي تسوق لها الحضارة الغربية اليوم، فلا يمكن ضمان استمرارية هذه الحضارة إلا من خلال جعله للمنظومة القيمية من جهة والمرجعية الدينية من جهة أخرى الحصن الوديع لها أما التيارات الإيديولوجية الجارفة التي تحاول بطريقة أو بأخرى جعل الحضارة الإسلامية في تبعية لها.

4- خاتمة:

من خلال ما سبق ذكره، توصلنا من خلال هذه الدراسةّ إلى النتائج التالية:

- إن ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من دمار وتقهقر وتخلف، ناتج بالضرورة عن الحملات التي تشنها الحضارة الغربية ضد الحضارة الإسلامية، من منطلق التشكيك في مبادئ وقيم الإنسان المسلم، وجعل الغرب بمثابة الحضارة الإنسانية أو فيها تتجلى إنسانية الإنسان، وترياق الحضارة الإسلامية يكمن في العودة إلى الطيبة الأولى للإنسان من جهة، وكذا بالرجوع إلى الدين الإسلامي وما يمثله من قيم إنسانية وأخلاقية متكاملة، ودحض أفكار الحضارة الغربية المادية التي تدعي العظمة، وتعيش في الوقت نفسه فراغاً روحيًا رهيبا.
- إن الإسلام هو رسالة دينية ودنيوية، بحيث أنه يرتبط أشد الإرتباط بالحياة الإنسانية ويواكب مختلف تطوراته ويحل كل معضلاته اليومية، وهو بمثابة رد على الحضارة الغربية التي حاولت جعل الدين الإسلامي محصورًا في الجانب العقدي أو في ممارسة الشعائر الدينية، وهذا قصد جهل الإسلام مقاربًا للمسيحية من حيث المنطلق والمبدأ، لكن على العكس من ذلك فالدين الإسلامي يعمل على تعزيز الجانب الروحي في الإنسان من جهة، ويهتم بواقعه وحل مشكلاته اليومية.
- الدين الإسلامي منظومة قيمية متكاملة، بحيث أننا نجده ثري بالقيم الإنسانية الرفيعة، والتي ترسخ لقيم العدالة الاجتماعية وقيم التسامح والمحبة والتكافل والتضامن والتآزر والأخوة ونبذ كل أشكال العنف والتطرف والإرهاب، والنص القرآني حافل بمثل هذه القيم الإنسانية الفاضلة، وعلى العكس من ذلك، نجد أن الحضارة الغربية التي ادعت الإنسانية والحرية والعدالة، وهي مثابة أقنعة مزيفة تريد من خلالها تحقيق التوسع الخارجي، وسلب ونهب خيرات الغير، وتاريخ الحضارة الغربية حافل بمثل هذه الأحداث اللاإنسانية.

ما يمكن قوله في الأخير، أنه ما أحوجنا اليوم إلى إعادة قراءة ديننا الإسلامي الحنيف قراءة مسترسلة حتى يتسنى فهم ذاتنا وتوجيهها وتهذيبها، ولعل أن الحضارة الغربية اليوم أرادت القضاء على معالم هذه الأمة الإسلامية من خلال ما نعيشه يوميًا من تعدي على الحقوق الإنسانية وحملات التقتيل والتهجير والتدمير التي تمارسها اليوم إسرائيل ضد الفلسطينيين وأمام كل دول العالم، وهي بمثابة رسالة مشفرة للدول الإسلامية، وهي أن هذه الحملات ليست الغاية منها قتل الفلسطينيين فقط، بل أكثر من ذلك ضرب الحضارة الإسلامية ومقوماتها ومبادئها.

5. قائمة المراجع:

1- ابن منظور. (2003). *لسان العرب* (الإصدار ط1). بيروت: دار صادر.

2- النعيمي علي عامر. (2023). مفهوم الحضارة وعناصر تكونها. *مجلة الاحياء ، 23* (32)، 613.

3- حسين مؤنس. (1978). *الحضارة*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

4- زريق قسطنطين. (1981). *في معركة الحضارة*. بيروت: دار العلم للملايين .

5- سيد قطب. (1988). *الإسلام ومشكلات الحضارة* (الإصدار ط09). القاهرة: دار الشروق.

6- سيد قطب. (2006). *السلام العالمي والإسلام* (الإصدار 13). القاهرة: دار الشروق.

7- سيد قطب. (1995). *العدالة الاجتماعية في الإسلام*. القاهرة: دار الشروق.

8- سيد قطب. (1988). *المستقبل لهذا الدين* (الإصدار ط09). مصر: دار الشروق.

9- سيد قطب. (1986). *معالم في الطريق* (الإصدار ط6). بيروت: دار الشروق.

10- هيتو محمد حسين. (2011). *الحضارة الاسلامية والحضارة المادية المعاصرة* (الإصدار ط1). دمشق: دار الفارابي للمعارف.